

غرب القدس
الشّطر المنسي من المدينة المحتلّة

إعداد
براءة درزي

قسم الأبحاث والمعلومات
مؤسّسة القدس الدّولية

غرب القدس:
الشّطر المنسي من المدينة المحتلّة

إعداد:

براءة درزي

قسم الأبحاث والمعلومات

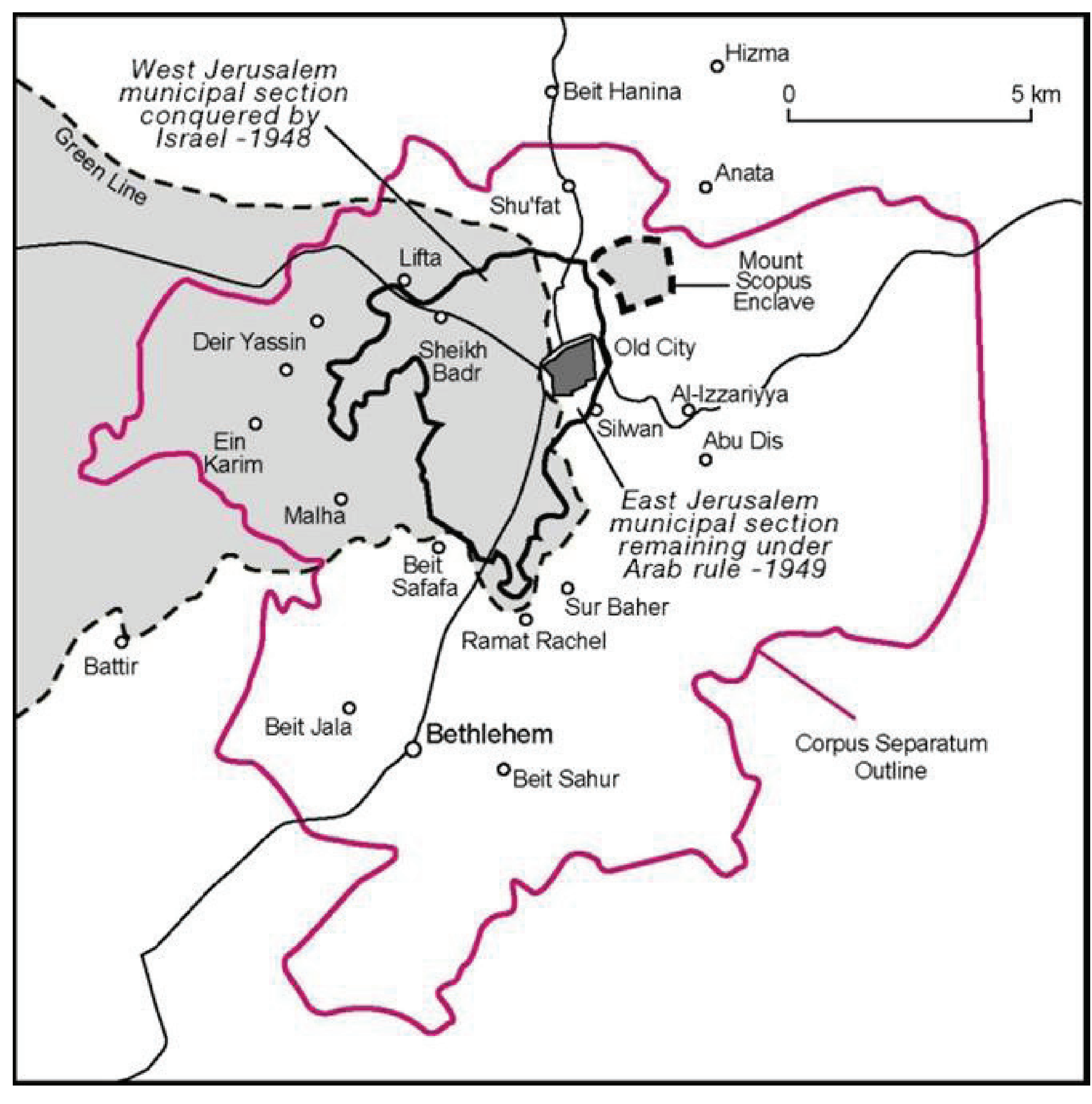
مؤسسة القدس الدوليّة

آب/ أغسطس 2018

المحتويات

مقدّمة

على الرغم من عدم وجود اعتراف من أيّ دولة أو منظمة دولية بأنّ أيًّا من شطري القدس هو جزء من «دولة إسرائيل»، إلا أنّ مجموعة من العوامل أدّت إلى إسقاط الشطر الغربي من القدس من دائرة التداول فيما ظلّ الجزء الشرقي من المدينة محلّ أخذ وردّ بين تمسّك دولة الاحتلال به على أنّه جزء منها من جهة وبين المجتمع الدولي الذي يقصر تعريفه للاحتلال على الأراضي الفلسطينية التي احتلّتها «إسرائيل» عام 1967، ومع ذلك يبدو عاجزًا عن إلزام دولة الاحتلال بالانسحاب منها.



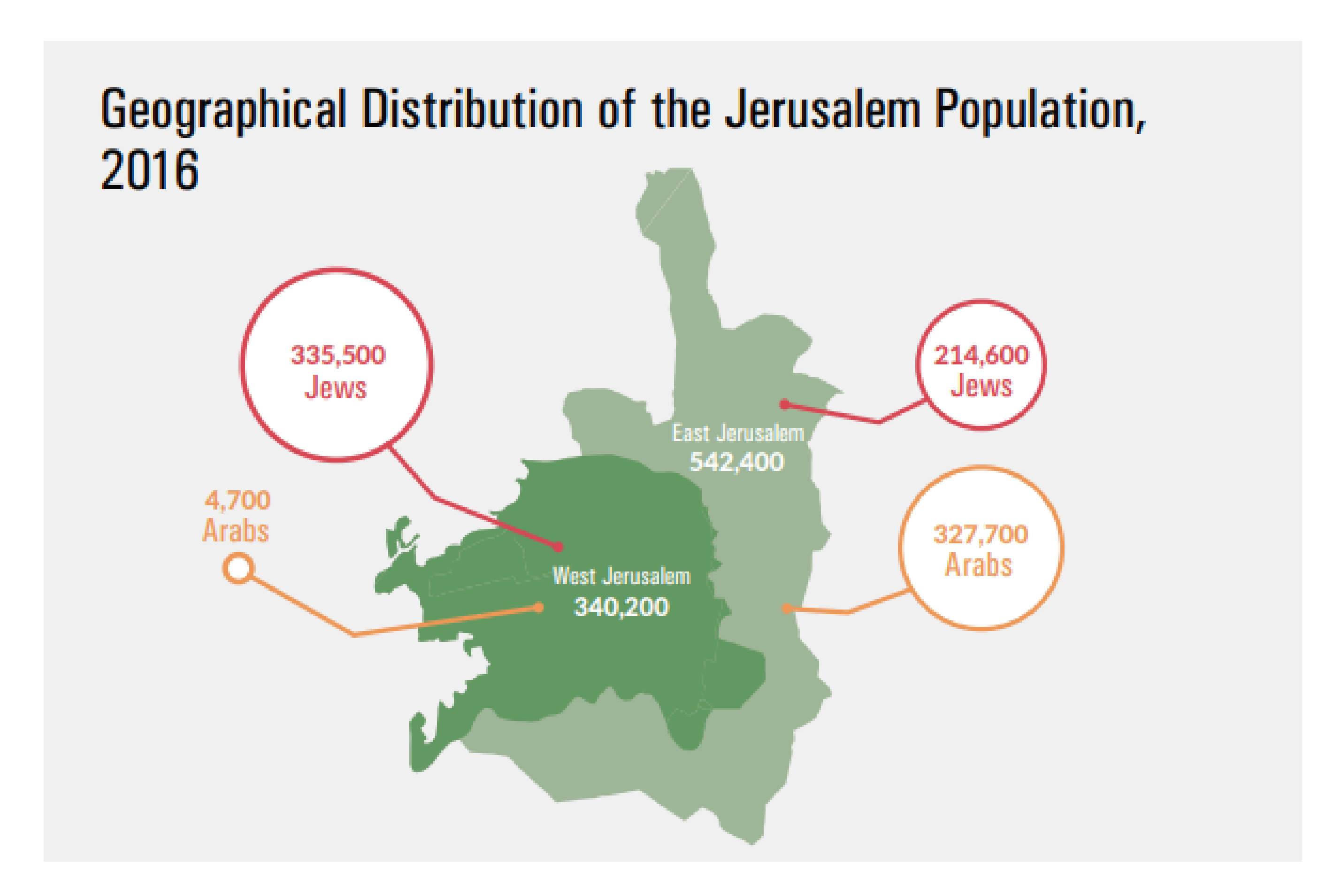
أبرز قرى غرب القدس وقد أقام الاحتلال مستوطنات على أراضيها

وفيما كانت الولايات المتّحدة أول دولة تعترف بكيان الاحتلال عند إعلان قيامه عام 1948 إلا أنّ أيًّا من الإدارات الأمريكية المتعاقبة، إلى ما قبل الرئيس الحالي دونالد ترمب، لم تعترف بالقدس رسميًا عاصمة لدولة الاحتلال. وكانت السّياسة الأمريكيّة المعلنة حيال الأمر هي العمل على حلّ على أساس دولتين فلسطينية وإسرائيلية، على أن تكون «القدس الشرقية» عاصمة للدولة الفلسطينية. وتبنت الدول الأوروبية «حلّ الدولتين والقدس الشّرقية عاصمة للدّولة الفلسطينية»، ولم تقم أي دولة أوروبية سفارتها في الشطر الغربي من القدس وإن كان مشهد التعاطي مع المدينة يوحي بالاعتراف بغرب القدس كجزء من دولة الاحتلال كأمر واقع. وعزّز من هذا «الواقع» أنّ سلطات الاحتلال نقلت مقراتها الحكومية إلى الشطر الغربي من المدينة، وأقامتها على أراضٍ عائدة للأوقاف المسيحيّة.

وعلى هذا سارت الدول العربية والإسلامية التي تبنّت المطالبة بـ «القدس الشرقية» عاصمة للدولة الفلسطينية العتيدة، ولم تعد القدس بشطريها حاضرة إلا في أدبيّات بعض الأحزاب، وفي الذاكرة الشعبيّة التي لم تندرس بمرور التّاريخ ولم يلوّثها التّطبيع، وقلّة قليلة من الحكومات، اتّساقًا مع عقيدة تتمسك بكلّ فلسطين التاريخية أرضًا عربية إسلامية. وقد ساهم في ترسيخ هذا التّعاطي مع شطري المدينة التمسّك بمصطلح «القدس الشرقية» و«القدس الغربية»، أي مقاربة كلّ شطر على أنّه مدينة مقابل تمسّك دولة الاحتلال بالقدس بشطريها كعاصمة لها ورفض التنازل عنها. ويشار هنا إلى أنّ القبول العربي والإسلامي بـ «القدس الشرقية»، واعتراف منظمة التحرير الفلسطينيّة بـ «دولة إسرائيل» على الأراضي المحتلة عام 1948، هو أحد الأسباب التي فتحت الباب أمام اقتراحات من هنا وهناك تدعو إلى إعادة تعريف القدس عاصمة الدّولة الفلسطينية بحيّ من أحيائها قد تقبل دولة الاحتلال بالتّنازل عنه.

غرب القدس عشية احتلاله: معارك ومجازر واستيطان

يسكن في الشّطر الغربي من القدس 340,200 نسمة حتى نهاية عام 2016، منهم 335,500 من المستوطنين اليهود، و4700 من العرب، وفق أرقام «معهد القدس لبحث السّياسات». ويقابل ذلك في شرق القدس 214,600 من المستوطنين اليهود، و327,700 من العرب.



معارك ومجازر، بهذا يمكن تلخيص المشهد في غرب القدس عشيّة احتلاله عام 1948. وكانت قرية القسطل أولى قرى غرب القدس التي هاجمتها عصابات الهاغانا الصهيونية في 1948/4/2، وهي المعروفة ببوابة القدس نظرًا إلى موقعها الاستراتيجي المرتفع 790 مترًا عن سطح البحر وقلعتها الأثرية. وكانت معركة القسطل من المعارك التاريخية التي تقاطعت فيها استماتة المقاومين بقيادة عبد القادر الحسيني للدفاع عن القرية واستردادها من الصهاينة مع ملامح التخاذل العربي بالامتناع عن إمداد الحسيني بما طلبه من عون وسلاح وذخيرة لمواجهة الصهاينة، حتى أنّ الحسيني يذكر أنّ اللجنة العسكرية التي شكلتها جامعة الدول العربية عام 1947 طالبته بعدم القيام بتصرفات فرديّة، وبعدم الذّهاب إلى القسطل.



بدأت العصابات الصهيونية هجومها على غرب القدس من حيّ القسطل (موقع الجزيرة)

حيّ القطمون شهد بدوره سلسلة من المعارك لصدّ الهجمات الصّهيونية التي استهدفته في الأشهر الأربعة الأولى من عام 1948. في 1948/1/4، فجر أفراد من عصابة الهاغانا فندق سميراميس في الحيّ، فاستشهد ما يقارب 20 فلسطينيًا. وتكرّرت الهجمات الصهيونية على القطمون، وتصاعدت في 1948/4/27، وتصدّى لها المناضلون من جيش الجهاد المقدّس في معارك استشهد فيها معظم أفراد الحامية المولجة بالدّفاع عن الحي بقيادة إبراهيم أبو دية، ولم تكن سيطرة الصهاينة على الحيّ مع فجر 1948/5/2 إلّا بعد انتهاء المعارك مع نفاذ الذّخيرة واستشهاد معظم المناضلين ممن تصدّوا للدّفاع عن الحيّ. ومن أبرز المعالم العمرانية في حيّ القطمون، الذي سمّاه الصّهاينة حي جونين، منزل الأديب خليل السكاكيني، والطبيب محمود الدجاني، والشاعر عبد الكريم الكرمي.

ولا يمكن الحديث عن غرب القدس من دون استحضار مجزرة دير ياسين التي نفذتها عصابات الأرغون وشتيرن الصّهيونية بدعم من البالماخ والهاغانا في 1948/4/9، فعمدت إلى تفجير بيوت القرية وقتل أي شيء يتحرّك، واستشهد في المجزرة قرابة 100 فلسطيني. ووصلت أخبار المجزرة إلى القرى الفلسطينية المجاورة فهجر الكثيرون قراهم قبل أن تصل إليهم عصابات القتل الصهيونية. وكشف الكاتب الصحفي عوفر أديريت في تقرير نشرته «هآرتس» في 2017/7/16

عن وثيقة من الأرشيف الإسرائيلي حول احتلال العصابات الصهيونية قرية دير ياسين، ونقل اعترافات لبعض من شاركوا في المجزرة التي نفذت في القرية. ونقل أديرت عن أحد المشاركين في المجزرة قوله «لم نكن هناك بقفازات من حرير، بل دخلنا منزلًا تلو آخر، نلقي مادة متفجرة والسّكان يهربون... وفي ساعات لم يكن نصف القرية موجودًا».



عناصر من العصابات الصهيونية لدى احتلالها دير ياسين عام 1948

وما بين المعارك والمجازر، احتلّت العصابات الصهيونية 38 قرية من قرى غرب القدس شكّلت 82 % من مساحة المدينة، وأبرزها القسطل، ودير ياسين؛ فيما احتفظ المدافعون ووحدات الجيش الأردني بحوالي 18 % من مساحة القدس، بما فيها البلدة القديمة إلى أن أعاد الصهاينة احتلال كامل المدينة عام 1967.

لا تزال الأبنية التي احتلّها المستوطنون في غرب القدس وأقاموا فيها مكان أهلها ومالكيها من الفلسطينيين تدلّ على الوجه العربي للقدس، وبعض هذه المنازل لا يزال مستخدمًا لسكن المستوطنين، فيما البعض الآخر تمّ تحويله إلى استعمالات أخرى. وكان الصهاينة قد صادروا ما تحتويه هذه المنازل من مدّخرات، بما في ذلك الكتب، فسرقوا حوالي 30 ألف كتاب نقلت إلى المكتبة الإسرائيلية الوطنية؛ فيما حولوا منزل المربي خليل السكاكيني في حي القطمون إلى روضة أطفال، ومنزل البرامكي إلى متحف، وبيت عائلة طرشة إلى مقرّ للقنصلية الإسبانيّة.



منزل الأديب المقدسي خليل السكاكيني في حي القطمون بغرب القدس، وقد حوله الاحتلال إلى روضة للأطفال (موقع الجزيرة)

وفي عين كارم حيث هجرت العصابات الصهيونية الفلسطينيين من بيوتهم الحجرية في تموز/ يوليو 1948 إلى الضفة الغربية وإلى بلاد اللجوء، لا تزال البيوت شاهدة إلى اليوم على واحدة من أكبر عمليات السرقة والتزوير التي قام بها الصهاينة إبّان النكبة. وعين كارم المجاورة لدير ياسين هي من أكبر وأهم القرى المقدسية، وفيها مسجد عمر بن الخطاب الذي أغلقته سلطات الاحتلال ومنعت الصلاة فيه، أما المقبرة الإسلامية في القرية فلم يبقَ فيها سوى بضعة أضرحة، ويستعملها المستوطنون كطريق للوصول إلى البيوت المجاورة التي استولوا عليها بعد تهجير أهلها.



قرية عين كارم (موقع الجزيرة)

مقبرة مأمن الله: تهجير الأموات لاستكمال مشاريع تهويدية

مقبرة مأمن الله في غرب القدس مقبرة إسلامية فيها رفات عدد من الصّحابة والتّابعين والعلماء والمجاهدين والشهداء المسلمين، وهي نموذج للتهويد وطمس المعالم الإسلامية الذي تمارسه دولة الاحتلال في القدس منذ عام 1948، وفي الشطر الشرقي منذ عام 1967. وقد استولى الاحتلال على المقبرة عام 1948 وضمّها، مع غيرها من أراضي الوقف الإسلامية، إلى الأراضي المصنفة كأملاك الغائبين والخاضعة للوصي على أملاك الغائبين. ولا تزال سلطات الاحتلال تعمل على تهويد المقبرة عبر تغيير معالمها، ولم تتورع عن هدم أجزاء منها لبناء حديقة عامة باسم «حديقة الاستقلال»، ودمرت عشرات القبور ونبشت رفات الموتى. كذلك، شقت الطرق فيها وحددت مسارات للمشي، وأقامت موقفًا للسيارات، ومركزًا تجاريًا وفندقًا. ولم يبق من

مساحة المقبرة الأصلية أكثر من 19 دونمًا، أي حوالي ثمن المساحة الأصلية البالغة 200 دونم. ومن المشاريع التي يعمل الاحتلال على تنفيذها على أرض المقبرة ما يسمى «متحف التّسامح» الذي ينفذه معهد سيمون فيزنتال ومن المتوقع افتتاحه عام 2019، فيما افتتح عام 2015 مقهى تباع فيه المأكولات والمشروبات المتنوعة والخمور.



تطور العمل في «متحف التسامح» – أيار/مايو 2017 (موقع مركز سيمون فيزنتال)

«القدس عاصمة إسرائيل» و «مقرّ التّمثيل الدبلوماسي»: البحث عن شرعيّة مفقودة للعاصمة الموعودة

في أواخر سبعينيات القرن الماضي، نقلت بعض الدول سفاراتها إلى الشطر الغربي من القدس، لكن من دون الاعتراف بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال، ووصل عدد السفارات المعتمدة لدى «إسرائيل» في غرب القدس عام 1980 إلى 13 هي: هولندا، وبوليفيا، وتشيلي، وكولومبيا، وغواتيمالا، وكوستاريكا، وجمهورية الدومنيكان، وهايتي، وباناما، والسلفادور، والإكوادور، وفنزويلا والأوروغواي. في 1980/7/30، سنّ الكنيست «قانون أساس: أورشليم القدس عاصمة إسرائيل»، الذي ينصّ على أنّ القدس الموحّدة هي عاصمة «إسرائيل». وبعد صدور هذا القانون،

أصدر مجلس الأمن القرار 478 في 1980/8/20، الذي عدّ «قانون القدس» خرقًا للقانون الدولي، وأعلن بطلانه من الناحية الدولية داعيًا دولة الاحتلال إلى إلغائه، والدول التي أقامت سفارات في القدس إلى إخراجها من المدينة. وبالفعل، فقد سحبت الدول الـ13 سفاراتها من غرب القدس ونقلتها إلى «تل أبيب» أو غيرها من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة عام 1948. وأعادت كل من كوستاريكا والسلفادور نقل سفارتيهما إلى غرب القدس عام 1984، ولكنهما نقلتاهما ثانية إلى «تل أبيب» في 2006.

وفي 2017/12/6، أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترمب اعتراف إدارته بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال، وأصدر تعليماته إلى وزير الخارجية باتّخاذ الإجراءات اللازمة لنقل السفارة الأمريكية من «تل أبيب» إلى القدس، ووقع في الوقت ذاته على قرار تأجيل نقل السّفارة 6 أشهر، وفقًا لما هو معمول به منذ صدور قانون نقل السفارة عن الكونغرس عام 1995. وقد جاء في إعلان الاعتراف أنّ حدود القدس تحدد بالاتفاق بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي. في 2018/5/14، جرى افتتاح السفارة الأمريكية في مقر القنصلية الأمريكية الواقعة في مستوطنة «أرنونا» جنوب القدس حيث جرى تثبيت لافتة كتب عليها السفارة الأمريكية في القدس مكان اللافتة التي تحمل اسم القنصليّة.



افتتاح السفارة الأمريكية في القدس في 2018/5/14

لكن على الرّغم من افتتاح السفارة الأمريكية في القدس، فإنّ السفير فريدمان لن يداوم فيها بشكل كامل، وفق صحيفة نيويورك تايمز، وسيكون عليه الانتقال بين «تل أبيب» والقدس نظرًا إلى أنّ مقرّ القنصليّة ليس معدًا لاستيعاب مهام السفارة. كذلك، فإنّ السفارة في «تل أبيب» ستساعد على تجنّب أيّ حرج دبلوماسي عبر تمكين فريدمان من التقاء ممثّلي الدول الرّافضة لخطوة نقل السفارة.

وبعد الولايات المتّحدة، أعلنت كل من غواتيمالا والبارغواي نقل سفارتيهما إلى القدس المحتلة، ومن ثم أعلنت هندوراس إعادة افتتاح قنصليتها الفخرية في الشطر الغربي من القدس فيما ستفتتح بلغاريا قنصليّة فخريّة في غرب القدس.

وباستثناء موقف إدارة ترمب وما تبعه من مواقف لبعض الدّول الهامشيّة وما لذلك من أسباب ومؤشّرات ودلالات ليس مجال ذكرها هنا، فإنّ دولة الاحتلال لا تزال عاجزة عن انتزاع اعتراف دولي بالقدس، أو بالشطر الغربي من المدينة، عاصمة لها. ولا يقتصر الأمر على الاعتراف المباشر، بل يتعدّاه إلى رفض عام لاعتماد تمثيل دبلوماسي في القدس قد تتلقّفه «إسرائيل» لاستكمال سياستها في فرض الحقائق على الأرض ومن ثمّ تصديرها كحلّ تصفوي للقضية الفلسطينية.

وما لا يمكن الاحتلال تحصيله بالسياسة يحاول انتزاعه بمسالك أخرى منها بالرّياضة والثّقافة عبر جعل القدس منطلقًا لمهرجانات ومسابقات دوليّة، باتت تشهد مشاركات عربيّة، لتبدو القدس كحيّز يلتقي فيه الجميع، تلقائيًا ومن دون قيود، تحت عين «إسرائيل» ورعايتها.

هل تحقق «إسرائيل» بالثقافة ما لم يتحقّق بالسّياسة؟

توقن سلطات الاحتلال أنّ القدس لن تصبح عاصمتها حتى باعتراف إدارة ترمب بها كذلك ودعمه بنقل السفارة الأمريكية إليها. ولذلك، تحرص على أن تكون القدس جاذبة لدول العالم تحت مسمّيات أخرى بعيدة ظاهريًا عن السياسة، ومن ذلك جعلها محطّة للمهرجانات الثقافية. وفي هذا السّياق، نجحت حكومة الاحتلال في جلب الماراثون الأوروبي المعروف بـ «طواف إيطاليا»، إلى الأراضي المحتلة، بالتّزامن مع احتفالها بالعيد السبعين لإعلان قيامها. وهذه

المرّة الأولى التي يقام فيها هذا الماراثون خارج الحدود الأوروبّية، وهو الحدث الرّياضي الأضخم الذي يقام في دولة الاحتلال. وقد انطلق الماراثون في 2018/5/4 من القدس المحتلة في المرحلة الأولى، بالإضافة إلى مرحلتين في الأراضي المحتلة عام 1948. وقد شارك في هذا الماراثون وفدان عربيّان مطبّعان من الإمارات والبحرين، ليعكس ذلك استجابة من بعض الدول العربيّة إلى التّساوق مع الحاجة الإسرائيليّة إلى أن تبدو القدس وعاء ثقافيًا لنشاطات مختلفة لا يستثنى منها العرب ليشكّل ذلك ستارًا لما يتعذّر تحقيقه حاليًا بالسّياسة.



مشاركة إماراتية وبحرينية تطبيعية في ماراتون في القدس المحتلة

لكن بالمقابل، كان من المقرّر إقامة مباراة رياضية ودّية بين المنتخب الإسرائيلي والمنتخب الأرجنتيني في 2018/6/9 على ملعب تيدي كولك المقام على أراضي قرية المالحة المحتلة في غرب القدس، لكن الأرجنتين عادت وأعلنت عن انسحابها من المباراة على أثر معارضة واسعة لإقامتها في القدس المحتلّة. وكانت ميري ريغف، وزيرة الثقافة في حكومة الاحتلال، قررت نقل المباراة من حيفا إلى القدس المحتلة، في خطوة لا يمكن إنكار دلالاتها السياسية التي ألبست لبوس الرياضة. لكنّ شركة Comtek المشرفة على تنظيم المباراة قالت إنّ «الإلغاء لا علاقة له بالقدس لا من بعيد ولا من قريب، ولكنّ السبب هو ضغط عائلات اللاعبين إذ لم نكن نتوقّع قبل أسبوع من زيارة المنتخب الأرجنتيني عمليات إطلاق صواريخ وقذائف هاون على رياض الأطفال، ومظاهرات عنيفة على السياج، وتحضيرات غير مسبوقة ليوم النّكسة [...]؛ هذا هو

الشيء الدقيق، ولا يوجد شيء آخر غير ذلك». وقد عبّر رئيس حكومة الاحتلال عن قلقه من أنّ إلغاء المباراة قد يهدّد بإلغاء أحداث ثقافيّة في دولة الاحتلال في المستقبل.

وعلى ما يبدو فإنّ دولة الاحتلال سيكون عليها تحمّل انتكاسة أخرى مع عدم قدرتها على استضافة مسابقة يوروفيجن الغنائيّة في القدس في العام القادم إذ رفض المنظّمون الأوروبيون إقامة المسابقة في المدينة المحتلّة حتى لا تتحوّل إلى مصدر صراع سياسي. وكانت ريغف قالت بأنّ «المسابقة ستكلّف إسرائيل 50 مليون شيكل (14 مليون دولار)، وهي تهدف إلى تسويق الدولة. لذلك، فأنا شخصيًا أقول إنّه إذا لم تنظّم المسابقة في القدس، لن يكون من الصواب استثمار كلّ هذه الأموال العامة».

خلاصة

على الرغم من مرور أكثر من سبعة عقود على احتلال الشطر الغربي من القدس، تبقى «إسرائيل» عاجزة عن الاحتفال بشرعيّة واضحة تعمل على انتزاعها من المجتمع الدولي حول سيادتها على القدس، أو على الشطر الغربي منها. وقد عملت، ولا تزال تعمل، على تأسيس وقائع وتثبيتها كحقائق على الأرض، لا سيّما كما يتجلّى في نقل مقراتها الحكومة إلى الشطر الغربي من المدينة لتنطلق منها إلى تثبيت مزاعمها حول أحقيّتها بالقدس. وفي ظلّ عدم وجود أيّ اعتراف بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال، كان إعلان ترمب وخطوة نقل السفارة خطوة رمزيّة تتمسك بها «إسرائيل» في مسيرة البحث عن شرعيّتها المفقودة. ومع عدم إمكانية انتزاع تساوق أوروبي مع الخطوة الأمريكية، والخجل العربي الرسمي من التساوق الصريح مع هذه الخطوة، تحاول «إسرائيل» أن تظهر القدس خارج الإطار السياسي، كملتقى ثقافي تحتضنه ليجمع كلّ الأطياف، بصرف النظر عن المواقف السياسية المعلنة.

تتمسّك دولة الاحتلال اليوم بالقدس كاملة عاصمة لها لتواجه بهذا «الحقّ» باطلاً يسمّي كلّا من شطري المدينة قدسًا. لعلّ معارك القطمون والقسطل وغيرها من المعارك أسست لمشهد في القدس يتجسّد أمامنا إلى اليوم: مقاومة وصمود لحماية القدس حيًا حيًا وقرية قرية يقابله تخاذل، وتقاعس عن دعم من تصدّوا لحماية القدس، وتفريط بالمدينة ومن ثمّ استسلام لتداعياته. بصرف النظر عن الموقف الأوروبي والأمريكي، فإنّ القدس تراجعت في الاصطلاح الرسمي العربي والإسلامي إلى القدس الشرقية ليشار بهذه إلى تلك وليُستعاض عن المدينة ببعض مدينة، بل بحيّ من أحيائها. لكن يبقى من الممكن الرهان على الإرادة الشعبية التي لم يشوّهها الانكسار والتّبعية بعدُ للتّصدي لصفقات بيع القدس والتّنازل عنها لمصلحة الاحتلال.

الإدارة العامة

شارع الحمرا - بناية السارولا - الطابق 11

هاتف: 00961-1-751725

فاكس: 00961-1-751726

ص.ب: 113-5647 بيروت لبنان

info@alquds-online.org

www.alquds-online.org

